مُخالَفَةُ القِياسِ اللُّغويِّ في شِعْرِ الأَعْشَى

Violation of linguistic measurement in the Poetry of the al'aeshaa

حسين بورمل *

تاريخ الإرسال::2019/01/15	تاريخ القبول: 2019/05/04	تاريخ النشر:2019/07/15

الملخص:

يُعَدُّ (**القياس**) أصلاً مِن أصول العربيّة، تناولته أقلامُ العلماءِ قديما وحديثا في بحوث مفصّلة؛ ولعلَّ الأعشى كان أكثر شعراء الجاهليّة مخالفةً لتلك القواعد والأصول. وقد خالَفَ فيها الأعشى مذاهبَ العرب في كلامها، فهو يخرج على أبنيتها المألوفة، وَإن كان أغلبُ خروجه عليها من بابِ الضَّرورة، لا من بابٍ نَقَبَهُ الأعشى في جدارِ اللُّغةِ وتَعَمَّدَ الخروجَ منه، كَمَا هُوَ مُلاَحَظٌ عند العَجّاج؛ فالشَّواهد التي في شعر الأعشى لا تُشَكِّل مَذْهباً له ومبدأً يعمل به، وإِنَّما هي من بابِ الضّرورة كما سبق القول، كما أن في شعرِه شواهدَ أُخرى من بابٍ آخر هو بابُ مخالفةِ القياسِ النَّحويّ.

الكلمات المفتاحيّة: القياس، اللغوي، شعر، الأعشى.

Abstract:

The measurement is originally from the origins of Arabic, and it was dealt with by the scholars' pens in ancient and modern research in detail. Perhaps Al-A'ashi was the most ignorant of the Jahiliyya poets. The majority of those who do not have the right to go out of the house of worship in the wall of the language and the intention to leave it, as is observed in the Ajaj. It is a

* جامعة البليدة2 . البريد الإلكتروني: anwarsaaidhb@gmail.com

necessity, as stated above, and in his poetry, other evidence of another section is the door of the violation of grammatical measurement.

*** *** ***

لعلَّ المَرْءَ لا يكون مجانباً للصّوابِ إن ذَهَبَ إلى أنَّ (القياسَ) مبدأ عامٌّ في مختلِفِ وجوه الحياة وصنوفِ العلم، وأنّ الإنسانَ حين يلجأ إلى (القياس) يُعْملُ فكرَهُ ليَجْرِيَ في فعلِهِ وقولِهِ على ما جَرَى عليه مَنْ يَقِيسُ فعلَهُ بفعلهِ وقولَهُ بقولهِ، ممَّنْ سَبقَهُ أو ممَّنْ يحيط به في مجتمعه.

والفَنَّان المبدع المبتدئ يقيسُ ما يُبدِعهُ بإبداعِ مَنْ تقدَّمَه، ولذلكَ كانت حاجتُهُ إلى التّلمذة؛ والشّاعر فنّان مبدعٌ أداة إبداعِهِ هي اللّغة، وقد عُرِفَتْ تلمذةُ الشّعراء القدماء بعضِهِم على بعض منذُ الجاهليّة، وذلكَ بأن يكون المبتدئ روايةً لشاعرٍ سابق، يحفظ شعرَهُ ويتمثَّل فنّه وأدواته المختلفة، ويتأثَر بِهِ في لغته وتراكيبه وموضوعاته.

وقد تنبه علماء العربية منذ القرن الأوَّل الهجريّ على أنّ هذه اللّغة محكومةٌ في ألفاظها وتراكيبها وشعرها ونثرها بقوانينَ جامعة مطَّردة ناظمة لها، فبدؤوا باستنباطِها، وتلَقَّاها تلامذتُهم وتوسّعوا في الاستنباط، ولم يزل الاستنباط يتوسّع إلى أن نضجت مجموعةٌ من علوم العربية، منها النّحو والصّرف والبلاغة والعَروض والقوافي، وهي علوم تحتوي تلكَ القوانين والمقاييس؛ وتنبَّه أولئك العلماء أيضاً على أنَّ فيما وصل إليهم من كلام العرب ما يخرج على تلك القوانين المطّردة ويخالفُها، فدوَّنوا ذلك كلَّه في كتبهم.

ولذلك يُعَدُّ (**القياس**) أصلاً مِن أصول العربيّة، تناولته أقلامُ العلماءِ قديما وحديثا في بحوث مفصّلة[1]؛ ولعلَّ الأعشى كان أكثر شعراء الجاهليّة مخالفةً لتلك القواعد والأصول، ففي أثناء البحث في كتب اللّغة والنّحو والصّرف وضرائر الشّعر

ونحو ذلك يلفت النظر كثرةُ استشهاد العلماء بشعره، وتنبيهُهم على ما فيه من مخالفةٍ للقياس والقوانين المطّردة في كلام العرب وأشعارِها، فحاولت جمع ذلكَ، ومراجعته على ديوانِهِ، فظهرَت لي فيه أمورٌ أضفتها إلى ما سبق، فاجتمعت لديّ كثيرة، فرأيت أن أقدمَّها في هذه المقالة التي اعتمدت فيها على المنهج الوصفيّ، مُكتفيا بتتبُّعِ مظاهر مخالفةِ القياس وعرضِها على القارئ، وإن كنت قد حرصت على نقل ما ذهب إليه العلماء مِن (تعليل) لبعض الظَّواهر، مَعَ العلم أنَّ كثيرا ممَّا عرضتُه يدخُلُ في الدّراسات الأسلوبية أو يُفيدُها.

على أنّ مخالفة الأعشى للقياس ليست مطّردةَ في شعره، فإنَّ معظمه جاءَ موافقا للقواعد الناظمة للعربية، وجاءَت مخالفةُ القياس في أبيات قليلةٍ إذا ما قُورِنَتْ بسائر شعره وهو غزير كثير.

و(**الأعشى**) لقبٌ لميمون بن قيس البكريّ، لُقّب به لعلّة في عينيه، وهو شاعر مشهور من شعراء الجاهليّة، يُعَدّ في الطبقة الأولى من فحولها البارزين، ولَهُ ديوان مطبوع قدّمَ له محقّقه الدكتور محمّد محمّد حسين رحمه الله . بمقدّمة مستفيضة تناوَلَ فيها عصرَه وحياتَهُ وفنَّه، تُغنِي مَنْ شاءَ معرفةَ ذلكَ.

ولا شكَّ في أنَّ وراءَ مخالفةِ القياس عند الأعشى أسبابا عدَّة، ولكنْ لعلَّ أهمَّها. في نظري هو السَّبب النفسيّ، فهو شاعرٌ قلقٌ مضطربٌ لاهثٌ وراءَ ثلاثِ شَهَواتٍ تتحكَّم فيه: المرأة والخمر والمال، وكانت وراءَ تعهُّرِه في حياتِهِ وشعرِه، وكثرةِ وصفه للخمر ومعاقرتها، وتكسُّبِه بشعره وتبذيره؛ وهذا كلُّه يجعله أقلَّ حرصا على إحكام شعرِه مِن سائرِ شعراءِ طبقته، وإن كانَ فيهم مَنْ يُشبِهُهُ في بعض جوانبِه النفسية؛ ولكن ليس هذا موضعَ دراسةِ الشاعر نفسّيا وأثر تركيبه النّفسيّ في شعره.

أَوجُهُ مُخَالَفَةِ القِياسِ في شعرِ الأَعشى:

يتميز شعرُ الأعشى بغزارته إذا ما وُوزِنَ بشعر غيره من شعراء الجاهليّة، فقد بلغَ عددُ أبيات ديوانه (2320) عشرينَ وثلاثَ مئةٍ وألفَيْ بيت من الشّعر، وقدّم الأعشى مَنْ قدّمه على شعراء الجاهليّة لأنَّه «كان أكثرَهُم عَروضا، وأذهبَهُمْ في فنون الشّعر، وأكثرَهُمْ طويلةً جيّدَةً، وأكثرَهُمْ مدحا وهجاء وفخرا ووصفا، كلُّ ذلكَ عندَه. وكان أوّلَ مَنْ سأل بشعره»[2] ولعلّ غزارةَ شعرِه جاءت من أنّه اتخذ الشّعر متجرا ووسيلة لِكَسْبِ الرّزقِ، فكان شعرُهُ صَنعتَهُ.

وهذه الغزارة في شعره تجعله إذا ما وقع على معنىً، ولم تُسْعِفْهُ اللُّغةُ على تركيبه بألفاظ تنقله إلى من يَسْمَعُهُ في سياق الوزن الذي اختاره، تجعله يتصرّف في ألفاظ اللّغة أو في تراكيبها المعروفة، حتى يذلِّلَها للمعنى الذي يريد، فيخالف بذلك الأصْلَ والقياس الذي كان ينبغي أن يأتي عليه الكلام.

ومخالفة القياس في شعر الأعشى متعدِّدَة الوجوه، كثيرةُ الشَّواهدِ، يستطيع المرءُ أنْ يُعيدَها إلى ثلاثة فروعٍ رئيسية، وهي: مخالفة القياس اللُّغويّ، ويُقْصَدُ بها أعيانُ الألفاظِ وما فيها من مُخالفةٍ لما تجري عليه ألفاظُ العربيّةِ؛ ومُخَالَفَةُ القياسِ النَّحْوِيّ، ويُقْصَدُ بها تركيبُ الجملةِ في عوامِلِها ومعمولاتها، واتّصال بعضِ أجَزائها ببعضٍ، وما في ذلكَ من مُخَالَفَة العربيَّة؛ ومخالفةُ القياس العَروضيّ، وهو ما يُسَمَّى بِعُيُوبِ الشِّعْر؛ ويستطيع المرءُ أيضاً أنْ يُحَدِّدَ لكلّ فرعٍ تَشَعُّباتٍ كثيرةً، وبهذه الفروعِ الثلاثةِ وتشعُّباتها تَتَّضِحُ ظاهرةُ مخالفةِ القياسِ في شعرِ الأعشى، وسأخصص هذا المقال لمخالفة القياس اللغوي.

مُخَالفةُ القياسِ اللُّغَويّ في شعر الأعشى:

تَرِدُ مخالفةُ القياسِ اللغويّ في شعرِ الأعشى على وجوهٍ عدّةٍ؛ فَثَمَّةَ أبنيةٌ لم تَرِدْ في أبنيةِ اللُّغَةِ المعروفة عند علماء اللغة، أولم تُسْمَعْ مِنَ العربِ، جُموعا ومصادرَ

وأسماءً؛ وثمّةَ إبدالُ ما لم تُبْدِلْهُ العَرَبُ، وتَرْكُ إعلالِ ما تُعِلُّه، وتَرْكُ حَذْفِ ما حَقُّهُ الحَذْفَ، وحَذْفُ ما حقُّهُ الإثباتُ وهو كثير، ومَدُّ المقصورِ، وقصرُ الممدودِ، وتحريكُ السَّكنِ، وتسكينُ المُتَحِّركِ.

فمنَ **الأبنية الَّتي وَرَدَتْ في شعرِ الأعشى، ولم يَرِد مثيلٌ لها في اللُّغةِ**: وزن (فَيْعُل)، إذ قالَ[3]: [من المتقارب]

وَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

فقولُهُ (أَيْبُلِيٌّ) هَوَ (فَيْعُلِيٌّ)، قال سيبويه: «إِنَّ مِثالَ فَيْعُل لَمْ يأتِ في الكَلاَم»[4] ولم يَقُلْ سيبويه ذلكَ لأنّه لم يقف على قولِ الأعشى، ولكنه كان – كما قال ابن جنّي: «إذا تحجَّر شيئا منَ اللّغة وخرج عنه الحرفُ أوِ الحرفان لم يستثنِ بما خَرَج عنِ الجمهور لِقِلَّتِهِ»[5].

وذهبوا في اشتقاقه مذهبَيْن؛ الأَوَّلُ: أنّه عربيٌّ مُشْتَقٌّ مِنْ أَبَلَ بالمَكَانِ إذا أقَامَ بِهِ، أو من أَبَلَتِ الإِبِلُ بالرُّطَبِ عن الماءِ، أي أقامت عليه واجتزأت به عن الماء؛ فذكَرَ الأعشى أنَ هذا الرّاهب اجتزأ بما في الهَيْكل وأقام عليه ولم يتعدَّهُ إلى غيره[6]؛ والثاني أنه من تسميةِ النَّصارى للمسيح عليه السّلام: (أَبِيل الأبيلين)، واستشهدوا على ذلك بقول عمرو بن عبد الجِنّ التّنوخيّ[7]: [من الطويل]

وَمَا سَبَّحَ الرُّهْبَانُ فِي كُلِّ بِيعَةٍ أَبِيلَ الأَبِيلينَ المَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَا

وقال أبو عليٍّ الفارسيّ: «قال أبو عبيدة: أَبْيُلِيّ: صاحب أَبِيل، وهو عصا الناقوس، وقال آخر جاهليّ: [وأنشد بيتَ عمرو، وقال:] فظاهرُ هذا يَدُلُّ على أنه يعني بالأَبِيل ما يُعنى بـ (أَيْبُلِيّ)...»[8]، وعلّل مَجِيءَ هذا الوزن في شعر الأعشى بأنّه يجيْءُ مَعَ ياءَيِ النِّسبةِ مالا يأتي مع غيرهما، وإن لم يأتِ (فَيْعُلَ) بلا ياءَي النّسبة. وقال ابن جنّي في قولهم: (لصٌّ بَيِّنُ اللَّصُوصيَّةِ)، و(حُرٌّ بيِّنُ الحَرُورِيَّة): إنْ شئتَ جَعَلْتَهُ صفةً

لمصدر محذوف، والتّقديرُ: لِصٌّ بَيِّنُ اللَّصَّةِ اللَّصُوصيَّةِ، وحُرٌّ بيِّنُ الحُرِّيَّةِ الحَرورِيَّةِ: «وإن شئتَ قلتَ غيرَ هذا، وذلك أنَّ مالا يجيءُ من الأمثلة بنفسه قد يجيْء إذا اتَّصَلَت ياءُ الإضافة بهِ، وذلك كقول الأعشى: (البيت) فأَيْبَليٌّ كما ترى (فَيْعُليٌّ) ولولا ياءُ الإضافة لم يَجُزْ ذلك، ألا ترى أنّه لم يأت عنهم (فَيْعُل)؟... فكذلك جاز لَصُوصيّة وحَروريّة»[9].

أمّا رِوايةُ أَبِي عُبَيْدَةَ للبيت فهي[10]: «وما آبُلِيٌّ على هَيْكَلٍ...» وهي على إبدالِ الألف من الياء، كما أُبْدِلَتْ منها في (طائي).

وممّا جاء في شعر الأعشى ولم يَرِدْ عن العرب أنَّهُ جَاء في شعره (يَقَنٌ) مَصْدراً لـ (أَيْقَنَ)، وجعل القَزَّازُ القَيْروانِيُّ هذا مِنْ ضَرَائِرِ الشِّعْرِ؛ قال: «ومِمَّا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ: أنْ يُجْرِيَ المَصْدَرَ على غيرِ المَصْدَرِ القياسيّ... حكى قومٌ أَنَّ مصدرَ (أَفْعَلَ) جاء على (فَعَل)، وأنشدوا للأعشى[11]: [من المتقارب]

وَمَا بِالَّذِي أَبْصَرَتْهُ العُيُو نُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلاَ مِنْ يَقَنْ

وَإِنَّمَا يُقَالُ: أَيْقَنَ إيقاناً وَيَقِيناً[12]»، ولكنَّ صاحب القاموس ذكر مصدرَ الثلاثيّ (يَقِنَ) كَفَرِحَ، فقال: «يَقْناً، وَيُحَرَّكُ»[13]، فإذا كان الأعشى بَنَاهُ على الثُّلاثِّي فَلَيْسَ فيه مُخَالَفَةٌ للقياسِ.

وَمِنْ هذا أنه جاء بـ (خُذُول) مصدراً لِـ (خَذَلَ)، فقال[14]: [من الطويل]

مَتَى أَدْعُ مِنْهُمْ نَاصِرِي يَأْتِ مِنْهُمُ كَرَادِيسُ مَأْمُونٌ عَلَيَّ خُذُولُهَا

يُريدُ أَنَّهَا لا تخذلهُ، و(خُذُول) مصدرٌلم يَرِدْ في المعجمات، وَإِنَّما وَرَدَ قولُهُمْ: خَذَلَهُ خَذْلاً وخِذْلاناً[15].

وَمِمَّا وَرَدَ في ديوانِهِ ولم يَرِدْ في المعجمات قولُهُ[16]: [من الطويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لاَ ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ وَقَدْ جَعَلُوني فَيْسَحاهاً مُكَرَّما

جَاءَ فِي شَرْحِهِ: «فَيْسَحاهُ: لَمْ أعثر لَهَا على أصلٍ، وفي المعاجم: وهو يمشي الفيسحى، أَيْ يُبَاعِدُ في خطوه»، والفَيْسَحُ كالفيسحى: مُبَاعَدَة الخطو[17].

ووردت في ديوانه ألفاظٌ لم يُعْرَفْ لها معنىً على وجهِ الدّقّة، مثل لفظ (شاحِرْد) في قوله[18]: [من الطويل]

وَمَا كُنْتُ شاحِرْداً ولكنْ حَسِبْتُنِي إذا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ القَوْلَ أَنْطِقُ

قال في شرحه: «قالوا إن معناه متعلّم»، ولم أجد له مادّة في القاموس.

ومثلها اللَّفظتَان: (السَّكّيّ) و(فَيْتَق) في قوله[19]: [من الطويل]

ولا بُدَّ من جارٍ يُجِيزُ سبيلَهَا كما جَوَّزَ السَّكِّيَّ في الباب فَيْتَقُ

قال الشارح: «السَّكّيّ: ذكروا فيه معانيَ كثيرة، فقالوا: إنه المسمار أو الدينار أو البريد. والفيتق قالوا إنّه النَّجَّار أو البواب أو الملك، وسُئلَ الأصمعيُّ عنِ الكلمتين فلم يعرِفْهُمَا».

ونجد الأعشى إذا جمع بعضَ المفرداتِ جَمْعَ تكسيرٍ خالَفَ القِياسَ في ذلك؛ كقوله[20]:[من المتقارب]

وُجِدْتَ إذا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا

فَجَمَعَ لفظ (زَنْد) على (أَزْنادِ)، والعَرَبُ تجمع ما جَاء على (فَعْل) من الأسماء الثلاثيّة الصّحيحةِ العَيْن السّاكنةِ جَمْعَ قِلَّةٍ على (أَفْعُل)، قالَ سيبويه: «أمّا ما كان على ثلاثةِ أحرفٍ وكان (فَعْلاً) فإنَّكَ إذا ثَلَّثْتَهُ إلى أَنْ تُعَشِّرَهُ فإنَّ تكسيرَهُ (أَفْعُل)... فإذا جاوز العَدَدُ هذا فإنَّ البناءَ قد يجيءُ: على (فِعَال) وعلى (فُعُول)... وَرُبَّمَا جاء (فَعِيلاً) وهو قليل...وَاعلَمْ أنَّهُ قد يجيءُ في (فَعْل): (أَفعالٌ) مكان (أَفْعُل)، قال الشاعرُ: [وأنشد بيتَ الأعشى] وليس ذلكَ بالباب في كلام العرب»[21]. وأنشدَهُ المُبَرِّدُ[22] شاهداً على ماجاءَ في جمع (فَعْل) غَيْرَ مُعْتَلٍّ على (أَفْعَال) مُشَبَّهاً بِغَيْرِهِ خارجاً عَنْ بَابِه.

ومثلُ ذلكَ أنَّهُ جَمَعَ لفظ (أَنْف) على (آناف) فقالَ[23]: [من الطويل]

إذا رَوَّحَ الرَّاعي اللِّقاحَ مُعَزّباً وَأَمْسَتْ على آنافِهَا عَبَرَاتُهَا

أنشدَهُ سيبويه[24] نظيراً لـ (أزناد) في شذوذ جمعها على وزن (أَفْعال)، وكان حقُّ (أَنْف) أَنْ يَجْمَعَهُ جَمْعَ كثرةٍ على (فُعُول).

ومن هذا أنّه جَمَعَ لفظَ المصدرِ (فَعْل) جَمْعَ تكسيرٍ على (فَوَاعِل)، حَمْلاً له على ما يُكَسَّرُ عليه (فَاعِل)؛ قال . وقد جَمَعَ لفظَ (سَيْل) على (سَوَائِل)[25]: [من الطويل]

فَلَيْتَكَ حَالَ البَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ وَكُنْتَ لَقىً تَجْرِي عَلَيْهِ السَّوَائِلُ

أي السُّيول؛ وعلَّلَ ابنُ جنّي ذلك بقوَّة شَبَهِ المصدر باسم الفاعل، فقال: «وَيَدُلُّك على قُوَّةِ شبه المصدر بالصِّفَةِ [يريدُ: باسمِ الفاعل] وقوعُ كلِّ واحدٍ منهما مَوْقِعَ صاحبه، وذلك نحوَ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ [الملك 30/67] أي غائراً... وقولهم: قُمْ قائماً؛ أي قياماً، وعليه أيضاً كَسَّروا المصدرَ وهو (فَعْل) على ما يُكَسَّرُ عليه (الفاعل) في الوصف، وهو (فَوَاعل)، أَنْشَدَنَا أبو عليّ: [من الطويل]

وَإِنَّكَ يَا عَامِ ابْنَ فارسِ قُرْزُلٍ مُعيدٌ على قِيلِ الخَنَا وَالهَوَاجِرِ

يريدُ جمعَ (هُجْر)، فكأنّه كَسّر (هاجراً) على (هواجر)، وأنشدنا أيضاً [من الطويل]

فَلَيْتَكَ حالَ البَحْرُ دونَكَ كُلُّهُ وكنتَ لقىً تَجْري عَلَيْكَ السَّوائِلُ

يريد (السُّيول) جمعَ (سَيْل)، وَهُوَ كَثيرٌ جِدّاً»[26]. واستشهد ابنُ جنّي أيضاً ببيت الأعشى على أنَّ قَوْلَ الحُطَيْئَةِ:

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لاَ يَعْدِمْ جَوازِيَهُ لاَ يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ الله وَالنَّاسِ

يحتمل أنْ يكون قَولُهُ: (جوازيه) جمع (جزاء) «لمشابهةِ المصدرِ اسمَ الفاعل»[27]، وإنْ كانَ الظّاهرُ أنْ يكونَ (جوازي) جَمْعَ (جازٍ)، أي: لا يعدم شاكراً عليه؛ فاحتملَ قولُ الحطيئة وجهَيْن، ثانيهما . أي أن يكون جمعَ جازٍ. أقوى من الأوّل.

ومثلُ جمع (سَيْل) على (سوائل) جَمْعُ (خَتْم) على خَوَاتم) في قول الأعشى[28]: [من الطويل]

يَقُلْنَ: حَرَامٌ مَا أُحِلَّ بِرَبِّنَا وَتَرْبُلَ أَموالاً عليها الخَوَاتِمُ

وإنْ كانَ هذا يحتمل وجهَيْن، كبيت الحُطَيْئَةِ، أحدهما أن يكون جَمْعَ (خَتْم)، والآخر أَنْ يكونَ جَمْعَ (خاتم)، أي آثار الخواتم، ولكنَّ هذا لا يمنع أن يكونَ الأوّلُ مراداً وقولاً[29].

وَمِنْ هذا أيضاً جَمْعُهُ (حاجة) على (حوائج) في قوله[30]: [من مجزوء الكامل]

الناسُ حولَ قبابِهِ أَهْلُ الحَوَائجِ والمَسَائِل

والحوائج جَمْعُ (حاجة) على غير قياس، كَأَنَّه جمع (حائجة)، «وكانَ الأصمعيُّ يُنْكِرُ هذا الحرف ويدَّعي أنّه مُوَلَّد، قال ابن برّيّ: إنَّما أنكره الأصمعيُّ لِخُرُوجِهِ عن قياسِ جمع (حاجة)، والنحويّون يزعمون أنّه جمعٌ لواحدٍ لم يُنْطَقْ به وهو حائجة،... وأمّا قولُ الأصمعيّ إنّه مُوَلَّد فإنَّهُ خطأٌ منه؛ لأنَّه قد جاء ذلكَ في حديثِ سِّيدنا رسولِ الله ﷺ وفي أشعار العرب الفصحاءِ...»[31].

وفي شعره **إبدالُ بعضِ الحروف التي لم يُسمع إبدالُها عنِ العرب**، وذلك في قوله[32]: [من الطويل]

أَيّام أَمْنَحُك المَوَدَّةَ كُلَّهَا مِنّي وأَرعى بالمَغيبِ المَأْحَدَا

فقد جاء في شرحِهِ أنَّه أرادَ المَعْهَدَ، فَقَلَبَ العَيْنَ همزةً، والهاءَ حاءً، وقد ذكر ابنُ جِنّي أَنَّ الحاءَ لا تكونُ بَدَلاً إلاّ فيما شذَّ عَنْهُم[33].

ومن ذلك قوله[34]: [من الطويل]

فَبَاتَ عَذُوباً لِلسَّمَاءِ كأَنَّمَا يُوَائِمُ رَهْطاً للعَزُوبَةِ صُيَّمَا

فَجَمَعَ (صائم) على (صُيَّم)، وأصله (صُوَّم)، فأبدل الواوَ ياءً، وقد ذكر المرزبانيُّ بِسَنَدٍ قويٍّ أنَ رُؤْيةَ بنَ العجّاج سُئلَ عن قول أبيه[35]: [من الرمل]

غير ثلاثٍ في المَحَلِّ صُيَّمِ

فقال: تُيِّهَ بِهِ في المتَيَّهِينَ، هُوُ (صُوَّم) [36]؛ فَرَدَّه روبةُ إلى الواو، وإِنْ كانَ صاحبُ القَاموسِ أوْرد جَمْعَ صائِمٍ بالواوِ والياءِ، «فَإِنَّ المَرْزُبَانيّ بسندِه القويّ يكادُ يقطَعُ بأَنَّ الواوَ هي الأَصْلُ، وأنَّ الياءَ قد أَبْدَلَهَا العَجَّاجُ إبدالاً مِنَ الواو»[37]، ومثلُه يكونُ جَمْعُ الأَعْشى.

ووردت في شعر الأعشى **مواضعُ صحَّحَ فيها ما حقُّهُ أَنْ يُعَلّ**، وذلك في قولِهِ المشهور[38]: [من البسيط]

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَىَ الحَانُوتِ يَتْبَعُني شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وصِحَّةُ الواو في قوله (شَوِل) شَاذّة، فهي مُتَحَرِّكَة وقَبْلَها حَرْفٌ مَفْتُوح، وَالَقِياسُ أَنْ تُقْلَبَ أَلِفاً، فَيُقَال (شَالٌ) مثل: بَابٌ، ودَارٌ، ونابٌ، ورجلٌ مالٌ (ذُو مَالٍ)، وكَبْشٌ صَافٌ (كَثيرُ الصُّوفِ) ويومٌ رَاحٌ (شَديدُ الرِّيح)، ويَوْمٌ طَانٌ (كَثيرُ الطِّين)؛ وقال ابنُ جنّي مستشهداً ببيت الأَعشى على قراءةِ ابنِ عّباسٍ رضيَ اللهُ عنه وغيرِه: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوِرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوِرَةٍ﴾ [الأحزاب: 13/33] بكسر الواو: «صحّةُ الواوِ في هذا شاذَّةٌ منِ طريقِ الاستعمال، وذلك أنَّهَا مُتَحَرِّكةٌ بعد فَتْحَةٍ، فكانَ قياسُهَا أَنْ تُقْلَبَ ألفاً، فَيُقال: عَارَة... ومثلُ (عَوِرَة) في صحّةِ وَاوِهَا قولُهم: رَجُلٌ عَوِزٌ لَوِزٌ، أَيْ لا شيء له، وقَوْلُ الأعشى: (البيت)، فكأنَّ (عَوِرَة) أسهلُ مِنْ ذلك شيئاً، لأنّها كانت جاريةً على

قولهم: عَوِرَ الرَّجُل، فهو بلفظِه والمَعْنَيَانِ يَلْتَقِيَانِ، لأنَّ المنزلَ إذا أَعْوَرَ [أَيْ بَدَتْ عَوْرَتُهُ، وهي الخَلَلُ الَّذِي فيه] فَهُناكَ إِخْلَالٌ واختِلالٌ»[39].

وعلَّلَ ابنُ جنّي في (الخصائص) سَبَبَ صحّة الواو في (شَوِل) وأمثالِهَا نحو: عَوِر وقَوَد وخَوَنَة ومثلها ممّا يقتضي مَجيءُ واوِهِ مُتَحَرِّكةً بعد فَتْحَةٍ إعلالَ هذه الواو، فقالَ: إنَّ سَبَبَ صحّة هذه الحروف طريفٌ، «وذلكَ أنّهن شَبَّهُوا حركةَ العَيْنِ [والعَيْنُ ههنا هي الواو] التابعةَ لها بحرفِ اللّين التابعِ لها، فكأَنَّ فَعَلاً [أيْ ما جاءَ على وزن فَعَل من هذه الأسماء التي لم تُعَلّ عَيْنُهَا، مِثْل: قَوَدِ] فَعَال، وكأَنَّ فَعِلاً [مِثْل شَوِل] فَعِيل؛ فكما يَصِحّ نَحْوُ: جَوَاب [ممّا جاء على فَعَال، وعَيْنُهُ واوٌ بعدَها ألِفٌ زائدة]... وطَوِيل وحَوِيل [مِمّا جاءَ فَعِيل، وعَيْنُهُ واوٌ بعدَهَا ياءٌ زائدة] فَعَلى نَحْوٍ مِن ذلك صَحَّ بابُ القَوَدِ... والشَّوِل، مِن حيثُ شُبِّهَتْ فتحةُ العَيْن بالألف من بَعْدِها، وكَسْرَتُهَا بالياء من بعدها»[40].

وربمّا جاء الأعشى بخِلافِ ما جاء به في (شَوِل)، فَنَرَاه يُعِلُّ ما تُبْقِيه العَرَبُ صَحيحاً، حَمْلاً له على غيره، وذلك جَمْعُهُ (ثَوْراً) على (ثِيَرَةٍ) في قوله[41]: [من البسط]

فَظَلَّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهْيَ رَاتِعَةٌ حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِي ثِيرَةً رُتُعَا

وكانَ مذهبُ العربِ في جمعِ ثَورٍ أن تقول (ثِوَرَة) فَيُبْقى على الواو، على رَغْمِ تَحَرُّكِهَا ومجيءِ الكسرة قبلَها؛ لأنّ العَرَبَ تُراعي في الجمعِ حالَ المُفْرَدِ، لأنه أَسْبَقُ مِنَ الجَمْع –كما يقولُ ابنُ جنّي. إيثاراً للتَّجانُسِ والتَّشَابُهِ وحَمْلِ الفَرْعِ على الأَصْل « ألاَ تَراهم لمَّا أُعِلَّتِ الواوُ في الوَاحِدِ أَعَلُّوهَا أيْضاً في الجَمْع في نَحْوِ: قِيمةٍ وَقِيَم، وَدِيمَةٍ وَدِيَمٍ،ولَمَّا صحّت في الواحد صَحَّحوها في الجَمْع فقالوا: زَوْجٌ وزِوَجَةٌ، وثَوْر وثِوَرَة»[42] وأما (ثِيَرَة) فيما وَرَدَ عَنْهُم فإِنَّ ابنَ جِنّي يذكر في سبب إعلال واوها ثلاثةَ أقوالٍ: الأوّل

أَنَّهُ شاذٌّ، وهو مذهَبُ سيبويه، والثّاني أَنَّهُمْ أَعَلُّوه ليفصِلُوا بذلكَ بَيْنَ الثَّورِ مِنَ البَقَرِ، والثَّورِ الَّذِي هُوَ قِطَعُ الأَقِط والَّذي يجمعونَهُ على (ثِوَرَة) بالتَّصحيح، وهُوَ مذهَبُ المُبَرِّد، والثَّالث أَنَّهَا منقوصَةٌ مِن (ثِيَارَة)، فَتَرَكُوا الإعلالَ في العَيْنِ أَمارةً لِمَا نَوَوا مِنَ الأَلِفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أبي بَكْر بنِ السَّرَّاجِ[43]؛ فعلى القولَيْنِ الأوَّل والثّاني يكونُ إعلالُ الواوِ في (ثِيَرَة) مخالفاً لمذهبِ العرب في تصحيح أمثالها، هذا مع مُلاحظهِ أنّ الأعشى سَكَّنَ عَيْن (ثِوَرَة) فصارت (ثِوْرة) فَقُلِبَتِ الواوُ ياءً لسكونها وكَسْرِ ما قبلها. وعلى الثّالث يكونُ قد حذف بعضَ أجزاءِ الكلمة وسكّن ما كانت حَرَكَتُهُ دليلاً على حذفِ ما حُذِف.

وممّا خالف فيه الأعشى مذهبَ العرب أَنَّه أثبت الألف من ضمير المتكلِّم (أنا) في الوَصْل، وحقُّها أنْ تسقطَ في الوَصْل وتثبتَ في الوَقْف، فقال[44]: [من المتقارب]

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالِي القَوَافِـــ ـــيَ بَعْدَ المَشِيبِ، كَفَى ذَاكَ

فأجرى (أنا) في حال الوَصْلِ مُجْراها في حالِ الوَقْف، وكان حقُّ الألفِ أن تحذفَ منها؛ لأنّ الاسْمَ من (أنا) هُوُ (أَنَ) فَزِيدَتِ الألفُ للوقف[45].

وإذا كان الأعشى في هذا البيت يثبتُ ما حقُّه أَنْ يُحْذَف، فإنَّه **كثيراً ما يحذفُ ما حقُّه الإثبات**، فمن ذلكَ حذفُهُ الواوَ الواقعةَ صلةً لهاءِ الضميرِ المتحرّكِ ما قبلَها في الوصل، إجراءً لها مجرى الوَقْفِ[46]، في قوله[47]:

وَمَالَهُ مِنْ مَجْدٍ تَليدٍ وَلاَ لَهُ مِنَ الرِّيحِ حَظٌّ لا الجَنوبُ وَلاَ

فعند إنشاد البيتِ لابُدَّ مِنْ لَفْظِهِ هكذا «وَمَالَهُ» بالضَّمِّ وحدَهُ، والوَجْهُ أَنْ يُلْفَظَ: «مَالَهُو».

ومن بابِ الحذف في شعره أنَّه يحذفُ بعضَ حروفِ الكلمات، نحو حذف نون (مِنْ) في قوله[48]:

وَكَأَنَّ الخَمْرَ المُدَامَةَ مِ الإِسْـــــ ـــــفَنْطِ مَمْزُوجَةٌ بِمَاءٍ زُلاَلِ

يريد: مِنَ الإِسفنط، فحذف النُّونَ لإقامةِ الوَزْن، وذهب ابنُ عصفورٍ إلى أنَّ حذفها «لالتقاءِ الساكِنَيْن تَشْبِيهاً لَهَا بالتَّنوين أو بحرفِ المَدِّ واللِّين، مِن حيثُ كانت ساكنةً وفيها غُنَّةٌ، وهي فَضْلُ صَوْتٍ في الحرف، كما أنَّ حرفَ المَدِّ واللِّين ساكن، والمَدُّ فَضْلُ صَوْتٍ فيه» [49].

ومنه حذفُ الألف من لَفظِ (الكَتَّان) في قوله[50]: [من المتقارب]

هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّرُو بَ بَيْنَ الحَرير وبَيْنَ الكَتَنْ

يريدُ: الكَتَّان، لأَنَّ ثِيابَ الكَتَّان «مُعْتَدِلَةٌ في الحرّ والبرد واليُبُوسَةِ، ولا تَلْزَقُ بالبَدَنِ ويَقِلُّ قَمْلُهُ»[51]، وأمّا الكَتَنُ فهو «لَطخُ الدُّخَانِ، والسَّوادُ بالشَّفَةِ، والتَّلَزُّجُ، وتُرابُ أَصْلِ النَّخْلَةِ، والدَّرَنُ، والوَسَخُ»[52] فلا بُدَّ أن يكونَ الأعشى أرادَ الكَتَّان، ولكنّه حذف الألف وَخفَّفَ الحرفَ المُشَدَّد قبلَه ليستقيمَ لَهُ الوَزْنُ.

ومثل تخفيف الشَّدَّة في (الكَتَّان) .وهو نوعٌ من الحذف .تخفيفُ الواوِ في لفظِ (فَوَّار)، في قولهِ[53]:

نَحْيَا جَمِيعاً وَلَمْ يُفْدِكُمْ طَعْنٌ لَنَا في الكُلى فَوَارُ

يريد: طَعْنٌ فوَّارٌعنيفٌ واسعٌ يندفع منه الدّمُ، فخفَّفَ التَّشديدَ لضرورة الشِّعْرِ.

وَمِثْلُه تخفيفُ الميم الزائدة الدّاخلة على لفظ الجلالة، في قوله[54]:

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَاحٍ يَسْمَعُهَا لاَهُمَ الكُبَارُ

فَالمِيمُ في قولِهِ (لاَهُم) مُشَدَّدة في الأصل، تُزَاد في آخر لفظ الجلالة بدلاً من أداةِ النداء (يا) ولكنَّ الأعشى خَفَّفَها[55]. وذهب هذا البيتُ شاهداً لدى النَّحويّين واللّغويّين على أَنَّ لفظَ الجلالة (الله) أصلُهُ (لاَهُ) ثُمَّ دَخلت عليها (أَل) [56].

ومنه أنه ربما اكتفى بالحركات من حروف المَدِّ، فهو يكتفي بالكسرة من الياء في قوله[57]:[من الكامل]

وَأَخُو الغَوَانِ مَتَى يَشَأ يَصْرِمْنَهُ وَيَعُدْنَ أعداءً بُعَيْدَ وِدَادِ

أَراد: الغواني، «فاكتفى بالكسرة من الياء، وهو كثيرٌ جدّاً [عند العرب]»[58]، وَوَجْهُ هذا عند ابنِ عُصفور أنّه تشبيهٌ بقَصْرِ المَمْدُودِ أو بحَذْفِ الياءِ مَعَ التَّنْوِين «من جِهَةِ أنَّ (الألفَ واللاّمَ) و (الإضافةَ) يُعَاقِبَانِ التَّنوينَ، فحُكِمَ لكُلِّ واحدٍ منهما بحكم ما عَاقَبَهُ، فكما تُحْذَفُ الياءُ في (غوانٍ) مع التَّنوين فكذلك حذفت في قَوْله: ... (الغَوَانِ) مَعَ الأَلِفِ واللاَّمِ»[59]، وذهب القزّاز إلى أنّه مِن تَوَهُّمِ الشَّاعر أَنَّ حَذْفَهَا أصلٌ فيها، حَمْلاً على حذفِها مع التّنوين[60].

ومن اكتفائه بالكسرة عن الياء قوله[61]: [من الكامل]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمَانِياً وَثَمانِياً وَثَمَانِ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

قال صاحب (سِفْرِ السَّعَادَةِ): «النُّون في (ثمانِ عَشْرَةَ) مكسورة، لأنَّه أراد ثَمَانيَ عَشْرَةَ»[62] لِئَلاّ يَتَوَهَّمَ القارئ أنَّ (ثَمَانِ) تُقْرأ (ثَمَانَ) لأَنَّها معطوفةٌ على (ثَمانياً) قبلها، فَنَبَّهَ على أنَّ الشَّاعر قدِ اجتزأ بالكسرة عن الياء.

ولكنّ الأعشى ربّما حذفَ الياء، وحذف الكسرةَ من الحرف الذي قبلها بتسكينه؛ قال[63]:

وَبَدَرْتُ القَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُها ثُمَّ أَنْشَأْتُ أُفْدِّي وَأُهَنْ

والأَصْلُ: أُهَنِئ، فَسَهّل الهمزةَ فصارت: وأُهَنِّي، ثُمَّ حُذِفَتِ الياءُ وسُكِّنَتِ الثّانِيَةُ من المُشَدَّدَةِ.

ومثل هذا قوله في قصيدةٍ أُخرى[64]: [من المتقارب]

وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الغَانِيَا ... تِ إمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ

يُريد: أزَنّي.

ومثله قوله[65]: [من المتقارب]

وَكُنْتُ امْرَأً زَمناً بِالعِرَاقِ ... عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

ومنه حَذْفُ ياء المتكلِّم من دون أن يَجتزئ عنها بالكسرة، مع إبقائهِ على نون الوقاية في قوله[66]:

فَهَلْ يَمْنَعَنّي ارْتِيَادُ البِلاَ... ..دِ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ

أَلَيْسَ أَخُو المَوْتِ مُسْتَوْثِقاً ... عَلَيَّ وَإِنْ قُلْتُ: قَدْ أَنْسَأَنْ

وفي قوله في القصيدة نفسها[67]: [من المتقارب]

وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ ... إِذَا ما انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ

وَلَكِنَّ رَبِّي كَفَى غُرْبَتِي ... بِحَمْدِ الإِلَهِ فَقَدْ بَلَّغَنْ

أَخَا ثِقَةٍ... (الخ).

وفي قوله من القصيدة نفسها[68]:

وَحَوْلِيَ بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا ... وَلَسْتُ خَلاَةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ

... فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلاَ الَّذِي خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ

يريد: يَأْتِيَنِي، وأَنْسَأَنِي، وأَنْكَرَنِي، وبَلَّغَنِي، وأَوْعَدَنِي، وَلَمْ تَرَنِي؛ فحَذَفَ ياءَ المتكلّم منها جميعاً، وليسَ هذا الحَذْفُ مِنْ بابِ حَذْفِ المفعولِ بِهِ لأنَّ المعنى مفهومٌ، كما هو في فصيح الكلام، ولكنَّما هُوَ حذفٌ بِسَبَبِ الضَّرورة والوَقْف، ولذلكَ أَثبت نونَ

الوقاية، وهي إنَّمَا جاءَتْ لِتَقِيَ الفِعْلَ مِنْ الكسر الَّذي تُوجِبُهُ الياء، فأثبتَتَ النّونَ لِمَا نَوَاهُ مِنْ إثباتِ الياء المحذوفةِ ضَرُورَةً[69].

وقد يحذف بعضَ الحروف من الكلمة، فيقعُ القارئُ باللَّبْس؛ نَجِدُ ذلك في قَوْلِه[70]: [من الطويل]

فَمَا لَكَ عِنْدِي نَائلٌ غَيْرُ مَا مَضَى رَضيتَ بِهِ فَاصْبِرْ لذلِكَ أَوْ ذَمِ

قال في شرحه: «ذَمِ: تخفيف اذْأَمْ، وهو الأَمْرُ مِنْ ذَأَمَهُ (كَمَنَعَهُ) أَيْ حَقَّرَهُ وطَرَدَهُ وأَخْزَاهُ، والإِذْآمُ: الرُّعْبُ» ولولا هذا الشرح لَذَهَبَ بالقارئ عقلُه مَذَاهِبَ في ردِّ (ذَمِ) إلى أصله.

ومثله قولُه[71]:

عَلَى أَنَّهَا إِذْ رَأَتْنِي أُقَا دُ قَالَتْ: بمَا قَدْ أَرَاهُ بَصِيرَا

وفي الشرح: «بما: بمعنى رُبَّما»، ولولا ذلك لَظَنَّ القارئُ بالبيتِ الظُّنُون.

وقَصْرُ الممدود نوعٌ مِنَ الحَذْفِ وَرَدَ في شِعْرِ الأَعْشَى، والنَّحْوِيُّونَ مُجْمِعُونَ عَلَى جَوَازِه في الشِّعر، لِمَا فيهِ مِن رَدِّ الاسم إلى أصلِه بحَذْفِ الزَّائد منه، ولكنَّ بعضَهم، كالكسائيّ يَحْصُرون هذا القَصْرَ فيما كانَ منصوباً، ويشترطونَ أَنْ يجيءَ في بابهِ مقصورٌ، فلا يَصِحُّ عندَهم مَثَلاً أَنْ تجيءَ مبالغةُ اسمِ الفاعل مقصورةً، لأنَّه لم يرد في صِيَغِ مُبالغةِ اسم الفاعل وزنٌ مقصورٌ؛ ولذلك لا يُقالُ عندَهم: هذا قَضَاكَ، ولا: عَجِبْتُ مِنْ قَضَاكَ؛ لأنّ الأَوَّل مرفوعٌ والثَّاني مجرورٌ، وهم يحصرونه في المنصوب؛ ولا يُقال: رأيتُ سَعًا إلى الشَّرِّ؛ لأنّه لم يرد عندَهم في بابِ مُبَالَغَةِ اسْمِ الفاعِلِ مَقْصُورٌ[72]؛ ولكنّ الأعشى قَصَرَ المرفوع، وقصر ما جاءَ على وزن مبالغةِ اسم الفاعِل، فقال[73]:

عِنْدَهُ البِرُّ التُّقَى وَإِسَا الشّقْـــ ـــقِ وَحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ

يريدُ: وَإِساءُ، و(الإِساءُ): الدَّواءُ، في موضع رَفْعٍ، فَقَصَرَهُ؛ ولا فرق عند البَصْرِيّين بين المنصوبِ وغيره[74].

وقال، وَقَصَرَ ماجاءَ على وزن مبالغة اسم الفاعل[75]: [من الكامل]

وَالقارِحُ العَدَّا وَكُلُّ طِمِرَّةٍ مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّويلِ قَذَالَهَا

قصر (العَدَّاء) وهو (فعَّال) من العَدْوِ، ولم يأتِ في صيغةِ المبالغةِ مقصورٌ حتَّى يُحْمَلَ هذا عَلَيْهِ[76].

وعلى العكس من قصر الممدود مدُّ المقصور، قال[77]:

وَجُلَنْدَاءَ فِي عُمَانَ مُقيماً ثُمَّ قيساً فِي حَضْرَ مَوْتَ المُنيفِ

وإنما هو (جُلَنْدى) مقصوراً[78]، وهو صاحبُ عُمَانَ من الأَزْدِ.

ومَدُّ المقصورِ نوعٌ من الزِّيادة في الكلمة، مثلُهُ تحريكُ السَّاكِن؛ وتسكينُ المُتَحَرِّك نوعٌ من الْحذْفِ كَقَصْرِ المَمْدودِ؛ وقد وردَ كلٌّ مِنْهُمَا في شِعْرِ الأَعْشى، قال[79]: [من البسيط]

نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ الحِنْوِ جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لاَ مِيلٌ وَلاَ عُزُلُ

يُريدُ: (عُزْل) جَمْع (أَعْزَل) أي: لا رُمْحَ لَه، وأمَّا (العُزُل) بِضَمَّتَيْن فهو ك (الأَعْزَلِ)، وجَمْعُهُمَا «عُزْلٌ وَأَعْزَالٌ وَعُزَّلٌ وَعُزْلاَنٌ وَمَعَازِيلُ»[80] فعندما حَرَّك الساكنَ أَشْبَهَ الجَمْعُ المُفْرَدَ. وقال[81]: [من المتقارب]

أَذَاقَتْهُمُ الحَرْبُ أَنْفَاسَهَا وَقَدْ تُكْرَهُ الحَرْبُ بَعْدَ السَّلِمْ

فَحَرَّك اللاَّمَ بالكَسْرِ ليستقيمَ له الوزن، وحَمَلَهُ ابنُ جِنّي على لُغةِ مَنْ يَقولُ مِنَ العَرَبِ: هَذا عَمُرْو، وَبَكُرْ، وَمَرَرْتُ بِعَمِرْو، وَ: بَكِرْ «فيَنْقل حَرَكَةَ الرّاء إلى ما قبلها؛ وإنَّما جازَ ذلكَ لأنّه إذا حُرِّكَ ما قبل الرّاء فكأنَّ الرّاء متحرِّكة»[82] ومِنْ هذا يكونُ تحريكُ الأعشى لاَمَ (السَّلْم) في البيت.

وقال، وقد سكّن المتحرّك[83]: [من البسيط]

حَتّى إذا فِيقَةٌ في ضَرْعِهَا جاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَو

عَجْلاً إلى المَعْهَدِ الأَدْنى فَفَاجَأَهَا أَقْطَاعُ مَسْكٍ، وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ

فقوله: (عَجْلاً) هو «مصدَرُ عَجِلَ (كَطَرِبَ)، سكَّنَ الجيمَ لِضرورةِ الوزن» هذه عبارةُ الشَّارح. رحمه الله. وأحسب أنّ الشّاعر قال: (عَجْلى)، فكتبها النَّاسِخُ بالمَمْدودةِ فوقع الوَهْمُ.

وقال[84]: [من البسيط]

لاَ النَّفْسُ تُؤْيِسُهُ منها فَيَتْرُكُهَا وقد رأى الرَّغْبَ رَأْيَ العَيْنِ

يريد: الرَّغَب، بفتحتين، وهو: المَرْغوب، فسكّن الغين لضرورة الشِّعر.

وبهذا تنتهي المواضعُ التي وقفت عليها وقد خالَفَ فيها الأعشى مذاهبَ العرب في كلامها، فهو يخرج على أبنيتها المألوفة كما سبق بيانُه، وَإن كان أغلبُ خروجه عليها من بابِ الضَّرورة، لا من بابٍ نَقَبَهُ الأعشى في جدارِ اللُّغةِ وتَعَمَّدَ الخروجَ منه، كَمَا هُوَ مُلاَحَظٌ عند العَجّاج؛ فالشَّواهد التي مرَّت بنا من شعر الأعشى لا تُشَكِّل مَذْهباً له ومبدأً يعمل به، وإنَّما هي من بابِ الضّرورة كما سبق القول، وتكاد تكون هذه الشواهدُ كلَّ ما وَرَدَ في شعره من مخالفةٍ للقياس اللُّغَويّ، ولكنَّ في شعرِه شواهدَ أُخرى من بابٍ آخر هو بابُ مخالفةِ القياسِ النَّحويّ.

المصادر والمراجع

1. أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها: لأبي محمّد الأعرابيّ الملقّب بالأسود الغُنْدِجاني (كان حيّاً سنة 430هـ)، تحقيق الدكتور محمّد علي سلطاني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1402 هـ/1981م.

2. الإنصاف في مسائل الخلاف: للأنباري، أبي البركات عبد الرحمن بن محمد (577هـ، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1402هـ/1982م.

3. الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جنّي (392هـ، تحقيق: محمد عليّ البجاوي، دار الهدى، بيروت، بلا تاريخ.

4. ديوان الأعشى الكبير: تحقيق: د. محمّد محمّد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة 7، 1403هـ/1983م.

5. ديوان الحطيئة: تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1407هـ/ 1987م.

6. ديوان العجّاج: تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، الطبعة 2، 1403هـ/1983م.

7. سرّ صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جنّي (392هـ، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1405هـ/1985م.

8. سفر السعادة وسفير الإفادة: للسّخاويّ الإمام علم الدّين أبي الحسن عليّ بن محمد (643هـ، تحقيق: د. محمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1403هـ/1983م.

9. ضرائر الشّعر، أو ما يجوز للشّاعر في الضّرورة: للقزاز، أبي عبد الله محمّد بن جعفر التّميميّ القيروانيّ (412هـ، تحقيق: د. محمد زغلول سلام ود. محمد مصطفى هدّارة، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1972م.

10. ضرائر الشعر: لابن عصفور الإشبيلي (669هـ، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، بيروت، الطبعة 2، 1402هـ/1982م.

11. طبقات فحول الشعراء: لمحمد بن سلاّم الجمحيّ (231هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1394هـ/1974م.

12. القاموس المحيط: للفيروزابادي، محمد بن يعقوب (816هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ/1986م.

13. الكتاب: لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان (180هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

14. لسان العرب: لابن منظور.

15. المحتسب: لأبي الفتح عثمان بن جنّي (392هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف وَد. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، القاهرة، 1386هـ.

16. المسائل الحلبيّات: لأبي عليّ الفارسيّ (377هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1407هـ/1987م.

17. معجم الشعراء: للمزرباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران (384هـ)، تحقيق: عبد الستار فرّاج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1960م.

18. مغني اللبيب: لابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (761هـ)،تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة2، بلا تاريخ.

19. المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد (285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عُضَيمة، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

20. المنصف لكتاب التصريف: لابن جنّي (392هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1373هـ/1954م.

21. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء: للمرزباني، أبي عبيد الله محمّد ابن عمران (384هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار نهضة مصر، 1965م.

الهوامش:

---

(1) مِنَ الكتب القديمة التي تناولت القياس وما جاءَ مخالفاً له: كتاب سيبويه، والخصائص لابن جني، ولُمَعُ الأدّلة لكمال الدين بن الأنباريّ، والاقتراح للسيوطيّ، والمزهر له، وضرائر الشعر لابن عصفور، وما يجوز للشاعر في الضرورة للقزّاز القيرواني. ومن الكتب الحديثة: السماع والقياس لأحمد تيمور، ودراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين، والقياس في اللغة العربية له، وفي أصول النحو لسعيد الأفغاني، والقياس لمنى إلياس.

(2) طبقات فحول الشعراء (65).

(3) ديوان الأعشى الكبير (103).

(4) المنصف لكتاب التصريف (1: 163).

(5) المصدر نفسه (1: 163).

(6) المصدر نفسه (1: 163).

(7) عمرو بن عبد الجنّ: شاعر جاهليّ قديم، خَلَفَ على مُلك جَذيمة الأبرش بعدَ قتله، فنازعه ابن أخت جذيمة: عمرو بن عديّ اللخميّ، وغَلَبه على الأمر، وكان الملك في الحيرة لأبنائه من بعده؛ معجم الشعراء:18، والشعر فيه.

(8) المسائل الحلبيّة (368 . 370).

(9) المحتسب (1: 63 . 64). وفي مقاييس اللغة (1: 42 . أبل): «قال الخليل: الأَبيلُ من رؤوس النصارى، وهو الأبيليّ؛ قال الأعشى (البيت) قال: يُريدُ أبيليّ؛ فلما اضطُرَّ قدّم الياء، كما يقال: أينُق، والأصل أَنْوُقٌ».

(10) المسائل الحلبيّة (370).

(11) الديوان (73).

(12) ضرائر الشعر للقزّاز (170 . 172).

(13) القاموس: (يقن).

(14) الديوان (225). والكراديس: جمع كُردوسة، وهي القطعة العظيمة مِنَ الخيل.

(15) القاموس (خذل).

(16) الديوان (343).

(17) القاموس: (فسح).

(18) الديوان (271). ومِسْحَل: اسم شيطان الشّعر الذي كان الأعشى يزعم أنَّه يُمِدُّهُ بالشّعر. وسَدَّى لَهُ القَوْل : أي نَسَجَهُ لَهُ وهيَّأه.

(19) الديوان (173).

(20) الديوان (123). والزَّنْدُ: أحدُ الزَّنْدَين، وهو العُود الأعلى الذي تُقتَدَحُ به النار؛ وثَقَبَ الزَّنْدُ: خرَجَتْ نارُه.

(21) كتاب سيبويه (2: 567 . 568) (باب تكسير الواحد للجمع).

(22) المقتضب (2: 195 . 196).

(23) كتاب سيبويه (3: 568)، وهو في الديوان (137)؛ والرواية فيه:

إذا روَّحَ الرّاعي اللِّقاحَ مَعَجِّلاً وأَمْسَتْ على آفاقِهَا غَبَراتُهَا

وهو تحريف؛ وإلاّ فقد ردّ الضمير في قوله: (آفاقها) على محذوفٍ مفهوم من السياق وهو الأرض؛ أي: تثيرُ اللّقاح الغبارَ في الآفاق بسبب القحط. اللّقاح: الإبل ذوات اللَّبَن. والمعزّب: الذي يُعْزَبُ بماشيته عن الناس في المرعى.

(24) كتاب سيبويه (3: 568).

(25) الديوان (233)؛ ورواية سيبويه «....تجرى عليك...».

(26) المحتسب (1: 57). والبيت الأول الذي أنشده أبو عليّ هو لسلمة بن الخُرْشُبِ الأنماريّ يخاطبُ عامرَ بنَ الطفيل العامريّ، وقُرْزُل: هو فَرَس الطُّفيل بن مالك العامريّ، وكان قُرزُل من وَلَدِ داحسٍ، ويُلَقَّب الطفيل بـ (فارس قرزل). والخنا: الفاحش مِنَ القول، والهُجْرُ: مثلهُ؛ انظر: أسماء خيل العرب .للغندجاني (198).

(27) الخصائص (2: 489) وبيت الحطيئة في ديوانه (51).

(28) الديوان (129). يخاطب به يزيد بن مُسْهِر الشيباني ويهدّده بالقتل ويحكي قول النّساء وهنّ يندُبنَهُ؛ فأرادَ بالرَّبِّ هنا السّيّد.

(29) الخصائص (489).

(30) الديوان (389).

(31) اللسان (حوج). وفيه بيت الأعشى وغيره من الشواهد من الحديث وأشعار العرب، ثمّ ذكر أنَّ الأصمعي رَجَع عن إنكاره.

(32) الديوان (277).

(33) سرّ صناعة الإعراب (196).

(34) الديوان (345). يصف ثوراً وحشيّاً، والعَذُوب: الذي يترك الأكل من شدة العطش، ويوائم: يوفق ويصنَعُ مثلَ صنع مَنْ يوائمه، والعَزُوبة: الأرض البعيدة.

(35) ديوان العجّاج (1: 444)

(36) الموشّح (218).

ISSN: 2352-9830 EISSN: 2600-6898

(37) العجّاج – حياته ورجزه (436).
(38) الديوان (109). والحانوت: الخمّارة، والشاوي: مَنْ يَشْوي اللّحم، والمِشَلّ والشَّلُول: الذي يَشُلّ الإبلَ، أي يسوقها، والشُّلْشُل: الخفيف السريعُ في العمل، والشَّوِل: الذي يحملُ الشيءَ.
(39) المحتسب (2: 176).
(40) الخصائص (3: 51 . 52).
(41) الديوان (155؛ ورواية ابن جنّي: «....صَدْرَ النَّهَارِ يُرَاعي...»).
(42) الخصائص (1: 111).
(43) الخصائص (1: 111).
(44) الديوان (103) وروايته: «فَمَا أَنَا أَم مَا انتحالي القوافي...» ولا شاهد فيه على هذه الرواية.
(45) ضرائر الشعر للقزّاز (860)، وضرائر ابن عصفور (49، ومغني اللبيب (412)؛ وأشار القزّاز إلى رواية أُخرى هي: «فكيف يكون...» ولا شاهد فيه على هذه الرواية.
(46) كتاب سيبويه (1: 29 . 30)، وضرائر القزّاز (150)، وضرائر ابن عصفور (122).
(47) الديوان (165). وروايته: «وما هذه مجدٌ...» ولا شاهد في هذه الرواية.
(48) الديوان (55). وروايته: «وكأنَّ الخمرَ العتيقَ مِنَ الإسفنط...» ولا شاهد في هذه الرواية.
(49) ضرائر ابن عصفور (114).
(50) الديوان (71).
(51) القاموس: (كتن).
(52) القاموس: (كتن).
(53) الديوان (333).
(54) الديوان (333).
(55) سرّ صِنَاعة الإعراب (430).
(56) انظر مثلاً: كتاب سيبويه، وسفر السعادة، واللّسان، وخزانة الأدب .
(57) الديوان (179)، وروايته: «وأخو النساءِ...» ولا شاهد فيه. ووردت رواية: «وأخو الغَوَان...» في: كتاب سيبويه (1: 26 . 28)، والمنصف لكتاب التصريف (2: 73)، وضرائر القزّاز (143)، وضرائر ابن عصفور (119).
(58) المنصف لكتاب التصريف (2: 73 – 74).
(59) ضرائر ابن عصفور (119 – 120).
(60) ضرائر الشعر، للقزّاز (143).
(61) ليس في ديوانه؛ وهو في سفر السّعادة (2 :772) منسوباً للأعشى.
(62) سفر السّعادة وسفير الإفادة (2: 772 . 773).

(63) الديوان (407).
(64) الديوان (67).
(65) الديوان (75).
(66) الديوان (65).
(67) الديوان (69).
(68) الديوان (75).
(69) ضَرَائر ابن عصفور (127 – 129).
(70) الديوان (169).
(71) الديوان (145).
(72) الإنصاف في مسائل الخلاف (2: 752)، وضرائر ابن عصفور (116 . 117).
(73) الديوان (59)، وروايته: «عنده الحزم والتقى وأَسَا الصَّرْعِ....» وأَسَا الجُرْحَ أَسأً: داواه؛ ولا شاهد فيها. والصَّرْع: داءٌ يُبْطِلُ الحِسَّ يمنَع الحَرَكةَ. والشَّقّ: داءُ الشَّقيقةِ.
(74) ضرائر ابن عصفور (117).
(75) الديوان (79).
(76) الإنصاف في مسائل الخلاف (2: 752).
(77) الديوان (365).
(78) الخصائص (3: 214).
(79) الديوان (78).
(80) القاموس: (عزل).
(81) الديوان (89). وروايته: «.... السَّلَمْ» والسَّلَم والسِّلْم والسَّلْم والسَّلام بمعنًى واحد؛ ولا شاهد فيها. أَمَّا كَسْرُ اللاّم فَرِواية ابن جنّي.
(82) سر صناعة الإعراب (80).
(83) الديوان (155).
(84) الديوان (417).

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊